

مقتطفات كتاب "الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري" الباب الأول: " النظرية ومعالم الفروض الأساسية" (11)

نشرة "الإنسان" 2022/01/01

السنة الخامسة عشرة - العدد: 5237



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

مقدمة:

نواصل اليوم هذا النشر المتقطع من هذا الكتاب، لعله الأهم، أن نُقرأ نشرة اليوم التي سنقدم فيها ما تيسر من الفصل الثالث، وأوصى بالبداية بقراءة نشرة الأسبوع الماضي.

يحيى

الفصل الثالث

الخطوط العريضة للأفكار الأولى (4)

إنني كنت قد جمعت من القرآن الكريم الآيات (وأجزاء الآيات) التي تشير إلى الإيقاعحيوي ووصلني كيف أنها تحرك الوعي البشري في هارمونية مع الطبيعة إلى الوعي الكوني إلى وجه الله

فضلت أن أوصل تناول كل هذا حتى لا يدرج تحت ما يسمى التفسير الديني للعلوم، كذلك حتى أتعرّفه - ما استطعت - أولاً على "فطرة الله التي فطر الناس عليها" بعلاقتها بمستويات الوعي المتصاعدة

إنني حذر تماماً من هذا المنهج، لأنني أحاول أن أتجنب تماماً أن يؤخذ مثل ذلك على أنه نوع مما يسمى التفسير العلمي للقرآن، الأمر الذي أرفضه من حيث المبدأ

تعلمت من ممارساتي في النقد الأدبي أن أحذر من



.....
.....

المزيد عن الإيقاع الحيوي، والنظرية:

دخلت على جوجل من قبل واستشرته فيما استحدثت فيما هو الإيقاعحيوي، فإذا بي أمام بحور من المعرفة يستحيل أن ألمّ بها في سنوات، وأغلبها له علاقة بما وصلني من الممارسة وسجلته في هذه المقدمة الباكورة، كما عثرت على كمّ هائل من الصور الموضحة، وأمعنت في التأمل في الصور والنظر في بعض ما كتب تحتها أو فيها.

ثم إنني كنت قد جمعت من القرآن الكريم الآيات (وأجزاء الآيات) التي تشير إلى الإيقاعحيوي

وصاية علم النفس على
الأدب أو النقد الأدبي،
حتى رفضت ما يسمى
"التفسير النفسى للأدب"،
وأحلت محله ما أسميته
"التفسير الأدبي للنفس"

إن الظاهرة البشرية جزء
من الكون الأعظم، تشترك
فى قوانينه العامة، وتختلف
فى تمييزها المحدد
بمعالمها الخاصة، ومن أهم
ما يشمل ظواهر الحياة
جميعاً هو الإيقاع الحيوى على
كل المستويات، وفى
مختلف الوحدات الزمنية

انطلاقاً من ملاحظة دورية
نوبات المرض النفسى
(العقلي) من ناحية (3)،
ومراحل النمو من ناحية
أخرى (بما يشمل النمو
العلاجى) رأيت أنه ينبغى
أن يعاد النظر فى التنظيم
الحيوى للمخ البشرى من
حيث علاقة ذلك بالإيقاع
الحيوى المنتظم، ومضاعفات
تعثر مساره

تتم عمليات التوازن الحيوى
(Homeostasis) فى
إيقاع منتظم لا ينقطع، مع
اختلاف وحدة الزمن (4)
فى كل عملية توازنية.

الإيقاع الحيوى، غير التوازن
الحيوى، (5) وهو ظاهرة
دينامية جدلية
(ديالكتيكية) سرمدية،
وقد يمكن إرجاع تواترها

ووصلنى كيف أنها تحرك الوعى البشرى فى هارمونية مع الطبيعة إلى الوعى الكونى إلى وجه الله، لكننى
فضلت أن أوجل تناول كل هذا حتى لا يدرج تحت ما يسمى التفسير الدينى للعلوم، كذلك حتى أتعرف -
ما استطعت - أولاً على "فطرة الله التى فطر الناس عليها" بعلاقتها بمستويات الوعى المتصاعدة.

كان ذلك منذ أكثر من عشرين عاماً على ما أذكر، ولم أرجع إليه أبداً ، ولم أستشهد بأى من هذه
الآيات قبلاً: حيث أننى حذر تماماً من هذا المنهج ، لأننى أحاول أن أتجنب تماماً أن يؤخذ مثل ذلك
على أنه نوع مما يسمى التفسير العلمى للقرآن، الأمر الذى أرفضه من حيث المبدأ، بل إننى سبق أن
تعلمت من ممارساتى فى النقد الأدبى أن أحذر من وصاية علم النفس على الأدب أو النقد الأدبى، حتى
رفضت ما يسمى "التفسير النفسى للأدب"، وأحلت محله ما أسميته "التفسير الأدبى للنفس"، بمعنى
أن نتعلم أساساً: ماهية النفس من الأدب، وبدأت فى جمع بعض أعمالى النقدية وظهر بعض ذلك فى
كتاب أول بعنوان "تبادل الأقنعة"، (2) وقد خطر لى الآن مثل ذلك بالنسبة للقرآن الكريم ، حيث العلم
خاصة العلم الميكنى السلطوى المقارن، هو أبسط وأسطح من أن نلجأ إليه لتفسير القرآن.

الأفكار الأساسية والأبعاد العامة:

"إن الظاهرة البشرية جزء من الكون الأعظم، تشترك فى قوانينه العامة، وتختلف فى تمييزها المحدد
بمعالمها الخاصة، ومن أهم ما يشمل ظواهر الحياة جميعاً هو الإيقاع الحيوى على كل المستويات، وفى
مختلف الوحدات الزمنية.

انطلاقاً من ملاحظة دورية نوبات المرض النفسى (العقلي) من ناحية (3) ، ومراحل النمو من ناحية
أخرى (بما يشمل النمو العلاجى) رأيت أنه ينبغى أن يعاد النظر فى التنظيم الحيوى للمخ البشرى من
حيث علاقة ذلك بالإيقاع الحيوى المنتظم، ومضاعفات تعثر مساره، وأخيراً من حيث إمكانية الوقاية من
ذلك التعثر، ومحاولات تعديل المسار بمواكبة إيقاعية أقدر (وهو ما يسمى العلاج من منطلق هذا الطب
الإيقاعى الذى تقدمه)

تتم عمليات التوازن الحيوى (Homeostasis) فى إيقاع منتظم لا ينقطع، مع اختلاف وحدة
الزمن (4) فى كل عملية توازنية. الإيقاع الحيوى، غير التوازن الحيوى، (5) وهو ظاهرة دينامية جدلية
(ديالكتيكية) سرمدية، وقد يمكن إرجاع تواترها وسرمديتها الى تاريخ الحياة التطورى الطويل حيث كان -
ومازال - لزاماً على الكائن الحي أن يتكيف فى مواجهة بيئة إيقاعية دورية محيطية، وبالنسبة للمخ بوجه
خاص، فإنه توجد أدلة فسيولوجية متزايدة: فى تلاحق مضطرب مؤخراً، على أن الإيقاع الحيوى هو
محور نشاطه بشكل أو بآخر، يمتد ذلك من أول الإطلاق الدورى المنتظم (6) للجهد الفاعل (7) لمحور
الخلية العصبية المفردة - الى محصلة النشاط الكهربى للمخ ككل، وهو الذى قد يسجل فيما يسمى رسام
المخ الكهربائى E.E.G. .

إن الانتباه إلى الإيقاع الحيوى ليس جديداً (8) الا أن هذا الانتباه قد أخذ مساراً محدوداً بعيداً عن أهم
مجالات عطائه للفهم الأعمق لطبيعة الإنسان ومسيرة نموه تناغماً مع دورات الكون خارجه -لا داخله
فحسب- مما انتهى به - خاصة عند العامة الذين لم يستطيعوا أن ينكروه أو يتنكروا له، فانتهى بهم
حدهم إلى بعض المعتقدات النابعة من ثقافتهم التى تربط بين السماء والنجوم والقمر والمجهول مثل
المعتقدات المرتبطة بالتنجيم والعلاقة بين الأبراج وقراءة الطالع الخ، ولعل انحراف المسار الى هذا الاتجاه
هو الذى أجّل الاهتمام الضرورى بدراسة الإيقاعية البيولوجية الموضوعية لنشاط المخ البشرى فى علاقته
بسائر دوائر الوعى الممتدة، ولكن يبدو أن الاهتمام عاد يأخذ مجراه الطبيعى السليم مؤخراً.

يبدو أن ما وصلنى أثناء ممارستى مهنتى، وخاصة فى العلاج الجمعى عبر وعى المشاركين وهو

وسمديتها الى تاريخ الحياة
التطوري الطويل

يلامس وعي: فيحرك كل الأحياء داخلي دون أن أدري، (ودون استئذان مني طبعاً)، يبدو أن هذا هو
الذي تراكم حتى نضجت النظرية لتستأهل اسم الطب النفسي الإيقاعحيوي.

وفيما يلي أمثلة محدودة من واقع ما يتردد - دون ألفاظ غالباً- بيننا مع مرضانا أثناء الممارسة
في هذه المواقفة العلاجية في العلاج الجمعي Group Therapy أو علاج الوسط Milieu
Therapy:

“ - [اجتمعاً عليه وافترقا عليه: ”كنا وما زلنا - في العلاج الجمعي مثلاً- طول الوقت، أطباء
ومرضى - دون إعلان: نجتمع عليه، مرة كل أسبوع لمدة ساعة ونصف لفترة عام كامل، ثم تتجدد
الجماعة العلاجية كل عام، حدث ذلك حتى الآن لأكثر من نصف قرن، وحين ينتهي عام العلاج المتفق
عليه: “نفترق أيضاً عليه” كما تعودنا أسبوعاً بعد أسبوع، يحدث ذلك دون أن نعلنه ألفاظاً خشية
ترجمته إلى حروف ورموز سلفية أبعد ما تكون عن واقع حوارات وتفاعلات الوعي البيئشخصي
والجماعاتي فالجمعي...الخ.

“ -2الله هو الشافي”، هذا ما يردده كل أو معظم المرضى عندنا، وبدرجات متفاوتة من استعماله
الأعمق، وهذا القول وما يليه، لم يكن يُقبل في ممارساتنا هذه باعتباره فتحاً لباب التواكل السلبي، بل
بالعكس، كنا نحرص على ممارسته مرضى ومعالجين لدعم ما يتحده لنا ربنا: ”هنا والآن (9)“ من
تواصل صامت ومعلن من فرص داعمة إيجابية معظم الوقت.

-3وإذا مريضٌ ”فهو يشفين“، كثير من الزملاء الأطباء يزين أوراق العلاج (الروشتات) بهذه
الجملة، ولست أدري مدى حضورهم فيما يكتب تحتها من عقاير أو تعليمات تأهيل، لكن ما هو مؤكد
عندي هو أنها - في ذاتها بغض النظر عن سطحية استعمالها - تمثل حقيقة جوهرية فاعلة في وعي
أغلب مرضانا أكثر من الأطباء أصحاب ”الروشته“ السالفة الذكر، وذلك بطرق متنوعة حسب آلية
تنشيطها، وفنية تنظيمها للمشاركة في ضبط لحن دوائر الوعي المتمادية في الاتساع والشمول .

-4معنى صلاة الجماعة حين تكون صلاة جماعة فعلاً، فتؤدي دورها دون قصد أو تعصب في
تتمية الوعي الجماعي، مع تذكر أن حوالي مليار شخص من كل بقاع العالم يوجهون وجوههم نحو بقعة
واحدة على الكرة الأرضية في نفس الوقت، دون نفي لمن يتوجه إلى قبلته الأخرى مع نفس فئته حسب
دينه وموقعه.

.....

.....

ونكمل غداً

كان - ومازال - لزاماً على
الكائن الحي أن يتكيف
في مواجهة بيئة إيقاعية
دورية محيطية

بالنسبة للمخ بوجه خاص،
فإنه توجد أدلة فسيولوجية
متزايدة، في تلاحق مضطرب
مؤخراً، على أن الإيقاع
الحيوي هو محور نشاطه
بشكل أو بآخر

أن هذا الانتباه قد أخذ
مساراً محدوداً بعيداً عن
أهم مجالات عطائه للفهم
الأعمق لطبيعة الإنسان
ومسيرة نموه تناعماً مع
دورات الكون خارجه -لا
داخله فحسب

أن ما وصلني أثناء ممارستي
مهنتي، وخاصة في العلاج
الجمعي عبر وعي

المشاركين وهو يلامس
وعيي: فيحرك كل الأحياء
داخلي دون أن أدري،
(ودون استئذان مني
طبعاً)، يبدو أن هذا هو
الذي تراكم حتى نضجت
النظرية لتستأهل اسم
الطب النفسي الإيقاعحيوي

وإذا مريضٌ ”فهو يشفين“
تمثل حقيقة جوهرية فاعلة
في وعي أغلب مرضانا أكثر
من الأطباء أصحاب

[1] انتهيت من مراجعة أصول ”الطب النفسي الإيقاعحيوي
التطوري“ وهو من ثلاث أبواب: وسوف نواصل النشر البطيء
آملاً في حوار، منشورات جمعية الطب النفسي التطوري (2021)
(تحت الطبع)

[2] يحيى الرخاوي: ”تبادل الأقنعة .. سيكولوجية
النقد“ الهيئة العامة لقصور الثقافة (2006).

[3] خاصة قبل التدخل الطبي الكيميائي الحديث
[4] حيث تتراوح من الميكروثانية (في تفاعلات الكيمياء
الحيوية مثلاً) الى الميلليثانية (في نشاط الاطلاق Firing
النيوروني المنتظم) الى الثانية الكاملة (في دورة القلب
cardiac cyde الى تسعين دقيقة في نشاط النوم النقيضي ...
الخ.

”الروشتة“ السالفة الذكر،
وذلك بطرق متنوعة حسب
آلية تنشيطها، وفنية تنظيمها
للمشاركة في ضبط لحن
دوائر الوعي المتبادية في
الاتساع والشمول

معنى صلاة الجماعة حين
تكون صلاة جماعة فعلا،
فتؤدى دورها دون قصد
أو تعصب في تنمية الوعي
الجماعي، مع تذكّر أن
حوالى مليار شخص من كل
بقاع العالم يوجهون وجوههم
نحو بقعة واحدة على الكرة
الأرضية في نفس الوقت

- [5] كنت قد استعملت كلمة Homeostasis مقابل ما
أسميته التوازن الحيوى، وبمراجعة ذلك الآن وجدت أن
المقصود أساسا بهذا اللفظ بالإنجليزية هو: الحفاظ على
حالة من الثبات لكل المستويات الحيوية الفسيولوجية
ومحركاتها تحت مختلف الظروف، مثل درجة حرارة الجسم، وضغط
الدم، ومستويات الالكترونييات فى سوائل الجسم...الخ، ومع أن
هذا لا ينفى أن حالة الثبات هذه قد تكون نتيجة لتوازن
إيقاعى مستمر، إلا أننى فضلت التنبيه الآن إلى أن هذا ليس
ما أعنيه تماما، نظرا لأن من أهم معالم ما أقدمه هو
الدفاع عن حتمية الحركة (نبضا وجدلا وإبداعا) مما يتعارض
ولو ظاهرا مع المفهوم الشائع عن الثبات فيما يسمى
Homeostasis.
Periodical

[6]
Firing

[7] - Action
Potential

- [8] ومن الطريف أن فلايس (Flies صديق فرويد) كان من
بين الأوائل الذين أشاروا الى أهمية الايقاع الحيوى الذى
يتحدد تلقائيا منذ الولادة، ويظهر فى دورات كل 28 يوما
عند المرأة (ممثلة أساسا فى دورة الطمث)، وكل 28 يوما
أيضا عند الرجل بشكل آخر، وقد وافق فرويد صديقه فى
البداية، ثم عاد فأنكر ذلك كلية (سنة 1900) ربما بعد أن
تباعده عن الاهتمام بفسولوجية وباثولوجيا المخ .
- [9] توقفت أثناء المراجعة الأخيرة عن هذا التعبير:
” ما يتيحه لنا .. ربنا .. بنا ” هنا والآن“
وخيل إلى أنه مفتاح لما يجرى نابع من نبض ثقافتنا
كشفته هذه التجربة هكذا.

إرتباط كامل النص مع المقطعات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD010222.pdf>

إرتباط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%8a%d9%82%d8%a7%d8%b9%d8%ad%d9%8a%d9%88%d9%89-%d8%a7-8/>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقبيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الوجود

21 عاما من الضح... 19 عاما من الإنجازات

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>